هاوية فالقريب منها يجذب بالانامل، والبعيد بالجذل الكوامل على قدر المحمول يكون قوة الحامل، بضع الهناء
مواضع النقب ٥ يكفي اللبيب اشارة مكتومة ، وسواه يدعى بالنداء العالي
وسواهما بالزجر من قبل العصى ، ثم العصا هي رابع الاحوال ، انتهى وقال رحمه الله تعالى في
فصل ذم الكسل ما صورته ونحن نجلب بعض الامثال في ذمه مما يسهل حفظه ويجب لحفظه، ثمرة
الكسل من لقمة الربح، ومسخرة الصبح، اذا رقدت النفس في فراش الكسل استغرقها نوم الغفلة لو كان سم
او نعتل ماكان في اصحاب السعير، الندامة في الكسل، كالسم في العسل، الكسل آفة الصنايع، وارضه في البضايع
العجز والكسل يفتحان الخول ولا تكسل الفلاح اذا امتد الحركة عدم البركة، ظهر ان لا يبلغان المرء ان ركبا
باب السعادة ظهر العجز والكسل ، وفي اغتنام الانام من اضاع الزمنة يحرج الغصة، ان كان لك من
الزمان شي فالحال، وماسواه محال، تارك امره الى غد لا يصلح للابد، الانسان ابن ساعته، فليحطها
من اضاعته، التسويف سم الاعمال، وعدو الكمال، لم يحرم المبادر، الا في النادر، ماد رجت افراخ ذل
الاحين وكر طماعه، ولا بسقت فروع ندم الا من جرثومة اضاعة العزم سوق، والتاجر الجسود مرزوق
من وثق بعهد الزمان علقت يداه بحبل الحرمان، الربح في ضمن الجسارة، والمضيع اولى بالخسارة، ومن امثالهم
في نظر الانسان لنفسه قبل غروب شمسه قولهم، اعلم ان كل حكيم صانع اذا فكر في امره ونظر في العواقب
علم انه لابد يوما ان يخرب دكانه الذي هو محل بضاعته وتنحل انقاضه وتكل ادواته وتضعف قوته وتذهب
ارام شبابه، فمن بادر واجتهد قبل خراب الدكان، واستغنى عن السعي فانه لا يحتاج بعد ذلك الى دكان آخر
ولا الى ادوات بجددة، فليتجر بما اقتناه، ويشتغل بالانتفاع والالتذاذ بما كسبت يداه، وهذه حالة النفس
بعد خراب الجسد، فبادر واجتهد واحرص واستعجل وتزود قبل خراب دكانك وهدم بنيته فان خير الزاد
التقوى، قال حسان ٥ اذا انت لم ترحل بزاد من التقى ، وابصرت بعد اليوم من قد تزود
ندمت على ان لا تكون كمثله ، ولم ترصد مثل ما كان ارصدا ، قال ابو الفرج ابن الطيب البغدادي
في اغتنام الوقت في كتابه في السياسة والاراء الفاضلة يجب ان يتعهد ويتمثل فان الفكر مضطرب متشوش
بكثرة نوازع النفس واختلاف قواها والعمى في بعض الاوقات فاذا سنح للنفس وقت فاضل بصفاء جوهرها
وابرمت قانونا او صورة متوسطة فاضلة يجب ان يتعهد بذلك وقت مقدر تماما او دايما ودائما
ومن نثر لسان الدين رحمه الله تعالى ماكتب به على لسان سلطانه الى الشيخ الموحدين بتونس بن تافراجين
يخبره بالتمحيص لجاد كمليه وفصه من امير المسلمين ابدع الله ونصره، واعلى امره واظهره الى ولينا في الله الذي
له القدم الرفيع المناصب والمجد السامي الذوايب والسياسة التي اخبارها سمر الركبان وحدو الركايب،
الشيخ الجليل الكبير الشهير الخطير الهمام الامضى الرفيع الاعلى الامجد الاوحد الاسعد الاصعد الارقى
الظاهر الطاهر الفاضل الباسل الارضى الاتقى المعظم الموقر المبرور علم الاعلام سلالة اكابر اصحاب الامام معيد
دولة التوحيد الى الانتظام ابي محمد عبد الله بن الشيخ الجليل الكبير الشهير الماجد الخطير الرفيع الاسعد الامجد
الحسيب الاصيل الامضى الارضى الافضل الاكمل المعظم المرحوم ابي العباس بن تافراجين وصل الله له عزة
تناسب شهرة فضله، وسعادة تتكفل له في الدارين برفعة محله سلام كريم يخص مجادتكم الفاضلة
ورتبتكم الحافلة، ورحمة الله وبركاته، اما بعد حمد الله الذي يمحص ليثيب ، ويامر بالاستقالة
ليجيب، ويعقب ليل الشدة بصبح الفرج القريب ، ويجني من شجر التوكل عليه ، والتسليم اليه ثمر الصنع
العجيب ، ويظهر العبر مهما كسر ثم جبر لكل ذي قلب منيب ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد
رسوله الذي يلجا الى ظل شفاعته في اليوم العصيب ، ونستظهر بجاهه على جهاد عبدة الصليب
ونستكثر عدد بركاته في هذا الثغر الغريب ، ونصول منه على العدو بالحبيب والرضى عن آله وصحبه نجوم
الهداية من بعد الائمة من الافول والمغيب ، فانا كتبناه اليكم كتب الله لكم عزة متصلة وعصمة بالاركان
من نوب الزمان متكفلة من حمراء غرناطة حرسها الله ولا زايد بفضل الله الذي لطف وجبر واظهر في الاقالة
وحسن الادالة العبر من كتب الله له العقبى لما صبر الا الخير الذي كسا الاعطاف الحبر والصنع
الذي صدق خبره الخبر والحمد لله كثيرا كما هو اهله فلا فضل الا فضله ، ولمكانتكم عندنا المحل الذي قررت
شهرة فضلكم قواعده ، واعلت مصاعده ، واثبت التواتر شواهده ، اذ لا نزال نتحف بسيركم الحسنى
التدبيرات تقتفي ، وعلم يسترشد به اذا العلم اختفى ، والسبيل عفى ، وان تلك الدولة بكم استقام اودها
وقامت ، والحمد لله عمدها ، وانكم رعيتم في البنين حقوق ابايها ، وحفظتم عليها ميراث عليايها ، ولو لم يتصل
بنا انباؤكم الحميدة ، دارا وكم السديدة بما يفيد العلم بفضل ذاتكم ، ويغري قوة الاستحسان بصفاتكم لغبطنا
بمخاطبتكم ومفاتحتكم ما تحلى من المبل لكم طبعا وجبلة من غير ان نعتبر سببا او علة ، فالتعارف بين الارواح
لا ينكر، والحديث الكريم يويد من ذلك ما ينقل ويذكر ، وبحسب ذلك نطلعكم على غريب ما جرى به في
ملكنا القدر ، وحيث بلغ الورد وكيف كان الصدر ، وربما اتصلت بكم الحادثة التي اكفاها على دار ملكنا
من لم يعرف غير نعمها غاديا ، ولا برح لجوانب احسانها رايحا وغاديا ، يتيم حجرها الكافل ، ورضيع درها
الحافل الشقي الخاسر الخاين الغادر ، محمد بن اسمعيل بن محمد المستجير بنسبنا من لوم عذره الخفية عنا
جبل مكره بخمول قدره ، اذ دعاه محتوم الحين ليهلك الى ان يملك ، وسولت له نفسه الامارة بالسوء ان
يملك ، اخانا الخاسر ثم يملك ، وسبحان الذي يقول يا نوح انه ليس من اهلك ، وكيف تم له ما ابرمه من
تسور الاسوار ، واقتحام البوار ، وتملك الدار ، والاستيلاء على قطب المدار ، وانا كنفنا عصمة الله بمحو لنا

الذي

الذي كان به ليلتئذ محل ثوايبا ، وكفت القدرة الالهية اكف اعدايبا ، وخلصنا غلابا بمجال انفراد الا
من عناية ونعم الرفيق ، وصدق اللجا الى رحمة الله التي ساحتها عن مثلنا لا يضيق ، فنهضنا نكر الزمان ، او نترق
الزيق ، وشرذمة الغدر تاخذ علينا كل فج عميق ، حتى اوينا من مدينة وادي آش الى الجبل العاصم والحجر
المرغم انف المخاصم ، ثم اجزنا البحر بعد معاناة خطوب ، وتجهم من الدهر وقطوب ، وبلاد الله هذا الوطن
من لا يرجوه وقارا ، ولا يالوا شعايره المعظمة احتقارا ، فاضرمها نارا ، وجلل وجوه وجوهه خزيا وعارا ،
حتى اهتك ابا الطاحماه ، وغير اسمه ومسماه ، وبدد حامية المغيرة وشذبها ، وسجد واوشه التي
محصها الترتيب والتجريب وهذبها ، واهلك نفوسها واموالها ، واساء لولا تدارك الله احوالها ،
ولما تاذن الله جل جلاله في اقالة العثار ، ودرك الثار ، وانشات نواسم رضاه ادامة الاستغفار ،
ورابنا قلادة الاسلام قد آن انتثارها ، والملة الحنيفية كادت تذهب آثارها ، ومسايل الخلاف يتعدد
نارها ، وجعلت الملتان تخونا تشير ، والملك يامل ان يوافيه بقدومنا المنير ، تحركنا حركة خفيفة نشر انها
حركة الفتح ، ونهضنا نبتدر ما كتب الله من المنح ، وقد استقصى لنا الكون بما حمل واستخدم الفلك نفسه و
شبهه والكمل ، وكاد يترب لترى ضيفنا الثور والحمل ، وظاهر ناصحلا اخينا السلطان الكبير الرفيع المعظم
المقدس ابو سالم الذي كان وطنه ماوى الجنوح ، ومهب النصر الممنوح ، رحمة الله عليه مظاهرة مثله من الملوك
الاعاظم وختم الجميل بالجميل والاعمال بالخواتم ، وانف حتى عدوا الدين لنعمتنا المكفوره ، وحقوقنا المجحوده
المستورة ، فاصبح وان كان العدو حبيبا ، وعاد بعد الاباية منيبا ، وسخر اساطيله تحضيضا على
الاجازة وترغيبا ، واستقبلنا البلاد وبحر البشر يزخر موجه ، وملك الاسلام قد خر على الحضيض اوجه
والروم مستولية على الثغور ، وقد ساءت ظنون المومنين بالعقبى وعواقب الامور ، والخبيث الغادر
الذي كان يموه بالاقدام قد ظهر كذب دعواه ، وهان مثواه ، ومن رط في اشراك المقدمة ، تورط مثله
من اتبع هواه ، وجحد نعمة مولاه ، فلولا ان الله عز وجل ، تدارك جزيرة الاندلس بركابنا ، وعاجل اوارها
بانسكابنا ، لكانت القاضية ، ولم تر لها من بعد تلك الريح العقيم من باقية ، لكنا والفضل لله رفعنا عنها
وطاة العدو وقدنا بمكمل ، وابتززناه منها اي مشرب وماكل ، واعتززنا عليه بالله الذي يعز ويذل
ويهدي ويضل ، فلم نسامحه في شرط يجر غضاضته ، ولا يخلف في القلوب مضاضته ، وخضنا بحر الهول وبرينا
الى الله ربنا عن القوة والحول ، وظهرت للمسلمين ثمرة سريرتنا ، وما بذلنا في مصانعة العدو عن الاجهاز
عليهم من حسن سيرتنا ، فقويت فينا اطماعهم ، وانعقد على التحرم بنا اجماعهم ، وقصدنا مالقة بعد ان
نالت الجهة الغربية ، واذعنت المعاقل الابية ، فيسر الله فتحها ، وهيا منحها ، ثم توالت البيعات
ورجفت بآذن البلاد والدعاة ، واضطرب امر الخاين ، وقد دلفت المخاوف اليه ، وحسب كل صيحة
عليه ، فانفضت نعامته الشايلة ، ودولته بغيه الزايلة ، واراوه الغايلة ، ان ضم ما امكنه من ذخيرة
مكنونة ، وآلة للملك مصونة ، واستركب اوباشه الذين استباح الحق دماءهم وعرف الخلق افتراءهم
بالعقد والانتمام ، وقصد سلطان قشتالة من غير عهد ولا وثيقة ، ولا ممتلى طريقة ، ولا شيمة بالرعي خليقة
لكنما اصغر وجل حمله على تقدمه ، لا ارا قدمه ، وزين الوجود بعدمه ، فلما حين قدومه عليه ، راجيا ان يستفزه
بزعمه ، او يخيل صحة عقد المبرم الى مرضى ، ومولاه هو وشيعته الغادره ، كره على الاسلام محجرة ، ونصرة لما عهد
لشيطانه منجزة ، تقبض عليه وعلى شيعته ، وصم عن سماع خديعته ، وانحش بهم المثلة ، واساء بحسن رايه
بهم القتلة ، فاراح الله بابادتهم نفوس العباد ، واحيى بهلاكهم رماق البلاد ، وحثثنا السير الى دار ملكنا
فدخلناها في اليوم الاغر المحجل ، وحصلنا منها على الفتح الالهي المعجل ، وعدنا الى الاريكة التي نبا عنها
التمحيص ، لما حسبناه الا اسرارا اعقبه الكمال ، ومرضا عاجله الابلال ، فثابت للدين الامال ، ونجحت
الامال ، وبذلنا في الناس من العفو ما غمر الذنوب وجبر القلوب ، واشعنا العفو في القريب والقصي
وكسا المريب ثوب البري ، وتالفنا الشارد ، واعذبنا الموارد ، واجرينا العوايد ، واسنينا الفوايد
الاما كان من شرذمة عظمت جرايرهم ، وخبثت في معاملة الله سرايرهم ، وعرف شوبهم ، وصدقهم
فيهم فاقصيناهم وشردناهم ، واجليناهم عن هذا الوطن الجهادي وابعدناهم ، ولما توفي السلطان
قشتالة باستقلالنا ، واستقرارنا بحضرة الملك واحتلالنا ، بادر يعرف بما كان من عمله فيمن لحق به
من طايفة الغدر ، واخوان الخديعة والمكر وبعث الينا برؤوسهم ، ماين رئيسهم الشقي ومرؤوسهم ، وقد
طفا على جداول السيوف حبابها ، وراق بحناء الدماء خضابها ، وبرز الناس الى مشاهدتها معتبرين
وبقدرة الله مستبصرين ، ولدفاع الناس بعضهم ببعض شاكرين ، واحق الله الحق بكلماته وقطع دابر
الكافرين ، فامرنا بنصب تلك الرؤوس بسور العقبة الذي فرعته ، وجعلناه علما على عاتق العمل الشني
الذي اخترعته ، وشرعنا في معالجة العلل ، وافضنا على العباد والبلاد حكم السلم ، فاجتمع الشمل كاحسن
احواله ، وسكن هذا الوطن بعد زلزاله ، وافاق من اهواله ، ولعلمنا بفضلكم الذي قضاياه شايعه
ومقدماته ذايعه ، اخبرناكم به على اختصار ، واجتزاء واقتصار ، ليسر دينكم المتين بتماسك هذا
الثغر الاقصى بعد استرسالكم ، واشرافه على سوء ماله ، وكذا نخاطب محل اخينا السلطان الجليل المعظم
الاسعد الاوحد الخليفة امير المومنين ابا اسحق بن الخليفة امير المومنين المعظم المقدس ابي يحيى
ابن ابي بكر بن الائمة المهتدين والخلفاء الراشدين ، وصل الله اسباب سعده ، وحرس اكناف مجده
لولا انا نعرفنا كونه في هذه المدة مقيما بغير تلك الحضرة التونسية فاجتزانا بمخاطبة جهتكم السنية

Copyright King Saud University